جزء فيما ورد في سبب منع نزول المطر

للشيخ العلامة الحافظ أبي العلاء
إدريس بن محمد العراقي الحسيني الفاسي المتوفى (1184هـ)

قرأه وعلق عليه
حاتم بن محمد فتح الله المغربي

ما فتئ أهل العلم والإيمان يُذكِّرون النَّاس، ويعظونهم، ويبصِّرونهم، وينبِّهونهم، لئلَّا يقعوا في حبائل الشَّيطان ومصائده، فيستوجبوا سخط الجبَّار وأليم عقابه.

يكتبون، ويخطبون، ويعظون، ويعلِّمون، ويرشدونهم لطريق استجلاب رحمة العزيز الغفَّار، ودفع نقمته وغضبه.

ويزداد اهتمام أهل العلم بهذا الأمر كلَّما حلَّت بالنَّاس بعض العقوبات العاجلة، من الزَّلازل والفتن والمحن.

وبين أيدينا نموذج من ذلك، وهو جزء لطيف، (فيما ورد في سبب منع نزول المطر)، لخاتمة الحفَّاظ ببلاد المغرب الأقصى، العلَّامة المحدِّث الشَّيخ أبي العلاء إدريس بن محمَّد العراقي الحسيني الفاسي. رحمه الله تعالى وغفر له وأسكنه فسيح جنَّاته..

هذا، وقد حرصت على إخراج هذا الجزء، وخدمته بما يسَّر الله تعالى، لما رأيت من شرود كثير من الباحثين عن خدمة تراث هذا العَلَم، رغم ما تميَّز به من علم جم، وسعة اطِّلاع، فاق فيها أقرانه بل كثيرًا من شيوخه.

وقد سرت في هذا العمل وفق الخطوات التَّالية:

- نسخت المخطوط وفق قواعد الإملاء الحديثة، مهتمًّا بوضع علامات التَّرقيم مراعيًا المعاني، وضبطت ما يشكل من الكلمات والأعلام وما إلى ذلك.

خرَّجت الأحاديث من مصادرها الأصليَّة، متَّبعًا ما يلي:

- إن كان الحديث في «الصَّحيحين» أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منه.
- وإن كان الحديث في خارج «الصَّحيحين»، فإنَّني أقتصر على تخريجه من كتب الحديث المشهورة، مراعيًا ترتيبهم حسب الوفيات، ولا أخرج عن ذلك إلَّا لنكتة.
- حرصت على نقل أحكام أئمَّة هذا الشَّأن على الأحاديث ما استطعت لذلك سبيلًا.
- عزوت الأقوال الَّتي نسبها المصنِّف لأصحابها، مع الحرص على الرُّجوع لمصادرها الأصليَّة.
- قمت بمقابلة ما نقله المصنِّف والمقارنة بينه وبين المطبوع، معتمدًا في ذلك على أفضل ما وقفت عليه من نشرات المصادر، وأثبت في الغالب الفروق المؤثرة دون غيرها، مشيرًا للحذف أو الزِّيادة بين معقوفتين [ ].
- علَّقت على ما تمس الحاجة إليه، مراعيًا في ذلك الاختصار والإيجاز.
- قدَّمت للرِّسالة بترجمة للمصنِّف، ودراسة مختصرة للرِّسالة ونسختها المعتمدة.

❋ ❋ ❋

ترجمة المصنف[1]:

اسمه ونسبه:

هو: إدريس بن محمَّد بن إدريس ابن عبد الرَّحمن بن حمدون بن عبد الرَّحمن الشَّريف العراقي الحسيني، فأصله من العراق، وينتهي نسبه إلى موسى الكاظم ابن جعفر الصَّادق بن محمَّد الباقر

(1) ممَّا وقفت عليه من مصادر ترجمته: «فهرسة الحافظ أبي العلاء إدريس العراقي الفاسي»، و«نشر المثاني» (193/4)، و«طبقات الحضيكي» (120/1)، و«سلوة الأنفاس» (150/1)، و«شجرة النُّور الزكيَّة» (512/1)، و«الفكر السَّامي» (124/4) (364/2)، و«فهرس الفهارس» (818/2)، و«المعجم المختص» (160/1)، و«إتحاف المطالع» (30/1).

ابن علي الأصغر الملقَّب بزين الدِّين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنهم أجمعين.

وأوَّل من وفد من أجداده من العراق إلى فاس: الشَّريف محمَّد الهادي بن أبي القاسم، واشتهر بالعلم وخدمة أهله[2].

ولادته ونشأته وطلبه للعلم:

يقول الشَّيخ العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ حاكيًا عن والده: «وكان يذكر لي أنَّ ولادتي كانت سنة عشرين ومئة وألف تقريبًا»[3].

وممَّا يدلُّ على العناية الفائقة الَّتي نالها المترجم له، والتَّربية الرَّشيدة، والحرص على تنشئته نشأةً صالحة، أنَّه أُدخلَ الكُتَّابَ صغيرًا، وقرأ القرآن وختمه مرارًا، وقرأ على والده في النَّحو والصَّرف والفقه، ولازمه واستفاد منه[4].

وهذه الملازمة والاستفادة من والده في علوم العربيَّة واللِّسان تفسِّر ما حباه الله به وآتاه من فصاحة النُّطق، واستقامة اللِّسان، والسَّلامة من اللَّحن، وفي هذا يقول ندّه ومعاصره ابن الطيِّب القادري في «نشر المثاني»: «ولم يكن له في حال قراءته اعتناء ببعض العلوم نحو النَّحو والبيان والمنطق، ومع ذلك كان إذا سرد كتابًا لا يلحن في شيء منه، بل فصيح النُّطق قويم الدِّراية على ذلك، ولا ينطق بشيء غير مستقيم»[5].

ومن علامات نبوغه، اشتغاله المبكِّر بعلم الحديث الشَّريف؛ فاتَّجه بكليته - وهو ابن أربع عشرة سنة - لطلبه، وشغف بتحصيل كتبه، وحرص على جمعها، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولمَّا شرعتُ في الانتقال بالعلم، وذلك في سنة أربع وثلاثين ومائة وألف، أولعت بعلم الحديث الشَّريف، كلام خير كل حضري وبدوي، وطلبت كتبه، فوقفت على كثير منها، ومن أجمعها كتاب خاتمة الحفَّاظ جلال الدِّين السُّيوطي؛ أعني جمع الجوامع»[6].

وقرأ العراقي على أشياخه جمعًا من المصنَّفات الحديثية، من الصِّحاح والسُّنن والمسانيد، وكتب الرِّجال والجرح والتَّعديل، وعلوم الحديث، وكتب الغريب والأطراف وغيرها، وسمع من الكتب على بعض أشياخه وضبط عليهم وقيد من كتب الحديث ما يستغرب سماعه فضلًا عن وجوده في القطر المغربي إذ ذاك[7].

مشايخه[8]:

أخذ الشَّيخ العراقي عن جلّة من الشُّيوخ، وجماعة من أعلام وقته، ولازمهم وتخرج بهم، ومن هؤلاء الأعلام:

1 - والده أبو عبد الله محمَّد ابن إدريس بن حمدون[9].

2 - الشَّيخ الفقيه القاضي أبو الحسن علي الشدادي الحسني[10].

3 - الشَّيخ المحدِّث أبو القاسم أحمد ابن العربي بن الحاج سليمان الأندلسي الغرناطي أصلًا، الفاسي دارًا (ت: 1141هـ)[11].

4 - الشَّيخ العلَّامة المشارك أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن محمَّد ميارة الحفيد، الفاسي (ت: 1144هـ)[12].

5 - الشَّيخ النَّحوي أبو عبد الله محمَّد ابن زكري الفاسي (ت:1144هـ)[13].

6 - الشيخ المحدِّث أبو الحسن علي ابن أحمد الحُرَيْشي (ت: 1145هـ)[14].

7 - الشَّيخ أحمد بن المبارك اللمطي السجلماسي (ت: 1155هـ)[15].

8 - الشَّيخ أبو عبد الله محمَّد بن عبد السَّلام بناني الفاسي (ت: 1163هـ)[16].

9 - الشَّيخ أبو عبد الله محمَّد المدعو: الكبير بن محمَّد السرغيني العنبري (ت: 1164هـ)[17].

10 - الشَّيخ المسند أبو العبَّاس أحمد ابن عبد الله الغربي الرباطي (ت: 1178هـ)[18].

11 - الشَّيخ أبو عبد الله محمَّد ابن قاسم جسوس (ت: 1182هـ)[19].

ولمترجمنا شيوخ آخرون بمكناس وغيرها، لم يذكرهم في فهرسته.

تلاميذه:

تتلمذ جمع من الطَّلبة على الحافظ

(2) ينظر: فهرسة المترجم له (43 - 44)، و«المعجم المختص» للزبيدي (160/1)، و«معجم شيوخ عبد الحفيظ الفاسي» (74).
(3) «فهرسة العراقي» (44).
(4) «فهرسة العراقي» (44).
(5) «نشر المثاني» (194/4). وينظر: «فهرس الفهارس» (821/2).
(6) من مقدِّمة كتابه «فتح البصير»، نقلًا عن د. بدر العمراني في «مقدِّمة تحقيقه لفهرسة العراقي». وينظر: «فهرس الفهارس» (818/2).
(7) ينظر «نشر المثاني» (194/4)، و«فهرس الفهارس» (822/2).
(8) ينظر «فهرسة العراقي»، و«نشر المثاني» (193/4)، و«فهرس الفهارس» (822/2)، و«المعجم المختص» (160/1).
(9) ينظر «الفهرسة» (44)، ولم أقف على سنة وفاته.
(10) ينظر «الفهرسة» (45)، ولم أقف على سنة وفاته.
(11) ينظر في ترجمته «سلوة الأنفاس» (330/1)، و«فهرس الفهارس» (1024/1).
(12) ينظر في ترجمته «نشر المثاني» (353/3).
(13) ينظر في ترجمته «نشر المثاني» (338/3)، و«طبقات الحضيكي» (362/1).
(14) ينظر في ترجمته «نشر المثاني» (361/3)، و«شجرة النُّور الزَّكيَّة» (486/1)، و«فهرس الفهارس» (342/1).
(15) ينظر في ترجمته «نشر المثاني» (40/4)، و«سلوة الأنفاس» (228/2).
(16) ينظر في ترجمته: «نشر المثاني» (80/4)، و«طبقات الحضيكي» (359/2)، و«سلوة الأنفاس» (156/1)، و«فهرس الفهارس» (224/1).
(17) ينظر في ترجمته: «سلوة الأنفاس» (383/2).
(18) ينظر في ترجمته: «طبقات الحضيكي» (120/1)، و«فهرس الفهارس» (119/1)، و«إتحاف المطالع» لابن سودة (20/1).
(19) ينظر في ترجمته: «نشر المثاني» (80/4)، و«شجرة النُّور الزَّكيَّة» (511/1)، و«إتحاف المطالع» (28/1).

العراقي وتخرَّجوا عليه، ومنهم:

1 ـ أبو عبد الله محمَّد بن أحمد ابن عبد الله الجزولي الحضيكي (ت: 1189هـ)[20].

2 ـ أبو الحسن علي زين العابدين ابن هاشم العراقي الحسيني الفاسي (ت: 1194هـ) المعروف بـ: زيان العراقي[21].

3 ـ عبد السَّلام بن الخياط القادري الحسني (ت: 1228هـ)[22].

4 ـ محمَّد بن أحمد بن محمَّد الصقلي الحسيني (ت: 1232هـ)[23].

5 ـ أبو محمَّد عبد الله بن إدريس، ولد صاحب التَّرجمة (ت: 1234هـ)[24].

6 ـ أبو زيد عبد الرَّحمن بن إدريس، ولد صاحب التَّرجمة (ت: 1234هـ)[25].

7 ـ محمَّد بن الصَّادق بن الريسوني (ت: 1234هـ)[26].

8 ـ أبو عبد الله محمَّد بن عبد السَّلام النَّاصري الدرعي التمكروتي (ت: 1239هـ)[27].

9 ـ عبد العزيز بن عبد السَّلام ابن أحمد بن علي بن أحمد بن الحسين الوزجاني[28].

(20) ينظر في ترجمته: «فهرس الفهارس» (351/1).
(21) ينظر في ترجمته: «سلوة الأنفاس» (140/3)، و«فهرس الفهارس» (460/1)، و«دليل مؤرِّخ المغرب» (217).
(22) ينظر في ترجمته: «إتحاف المطالع» (111/1)، «الأعلام» للزركلي (8/4).
(23) ينظر في ترجمته: «إتحاف المطالع» (120/1).
(24) ينظر في ترجمته: «سلوة الأنفاس» (18/3)، و«فهرس الفهارس» (824/2).
(25) ينظر في ترجمته: «سلوة الأنفاس» (19/3)، و«فهرس الفهارس» (824/2).
(26) ينظر في ترجمته: «فهرس الفهارس» (445/1)، و«إتحاف المطالع» (128/1).
(27) ينظر في ترجمته: «فهرس الفهارس» (843/2)، «الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام» (192/6).
(28) ينظر في ترجمته ما جمعه محقِّق «فهرسة العراقي» (24).

ثناء العلماء عليه:

أثنى جمع من أهل العلم على مُترجَمِنا، وحلوه بجميل الأوصاف، وكبير الألقاب، ورفيع الدَّرجات العلميَّة، لما كان عليه من العلم الوافر، والاطِّلاع الواسع، وطول الباع، مع التَّحقيق والإتقان.

فقد حلاه شيخه محمَّد جسوس (ت 1182هـ) بقوله: «فريد عصره ووحيد دهره في علم الحديث»[29].

وقال عنه شيخه الحُرَيْشي (ت 1145هـ): «الفقيه النَّجيب، والحافظ الأريب»[30].

وقال عنه أيضًا شيخه بناني (ت 1163هـ): «الفقيه العلَّامة الحافظ المحدِّث»[31].

وأثنى عليه شيخه الرِّباطي (ت 1178هـ) ثناءً عاطرًا، فقال عنه في إجازته: «...العالم الحافظ البركة الحجَّة، السَّالك من تلك السُّبل والمنهاج أوضح المحجَّة، سيِّدنا ومولانا الإمام الألمعي الهمام إدريس...»[32].

وفي «الدر النَّفيس» عن الشَّيخ أبي حفص عمر الفاسي أنَّه كان يقول لتلامذته في شأن أبي العلاء: «هذا سيِّدي وسيِّدكم» ويقول أيضًا: «إنَّه أحفظ من ابن حجر»[33].

وقال عنه عصريه، وقرينه في الطَّلب الشَّيخ محمَّد بن الطيِّب القادري (ت: 1187هـ): «الشَّيخ الحافظ المحدِّث الفقيه العلَّامة»[34].

وقال ابن عمِّه أبو محمَّد الوليد ابن العربي العراقي (ت: 1265هـ): «كان إمامًا في علم الحديث محقِّقًا فيه، وانفرد بذلك في وقته فكان لا يقاومه فيه أحد، واعترف له بذلك علماء زمانه وشيوخه وأقرانه، فكان يلقَّب بسيوطي زمانه»[35].

(29) «فهرسة العراقي» (56).
(30) «فهرسة العراقي» (49).
(31) «فهرسة العراقي» (53).
(32) «فهرسة العراقي» (57).
(33) «سلوة الأنفاس» (151/1).
(34) «نشر المثاني» (193/4).

مؤلَّفاته:

للشَّيخ أبي العلاء إدريس العراقي مؤلَّفات عديدة، أغلبها في علم الحديث، امتازت بقوَّة الحجَّة، وإتقان الصِّناعة الحديثيَّة، وكثير منها رسائل وفتاوى كتبها جوابًا لسؤال، أو تحريرًا لمسألة.

1 ـ اختصار اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسُّيوطي[36].

2 ـ الإيضاح والتَّبيين فيما فات الحافظ ابن حجر في طبقات المدلِّسين[37].

3 ـ التَّنبيهات الحسنة على أحاديث التَّوسعة[38].

4 ـ تخريج أحاديث الشِّهاب للقضاعي[39].

5 ـ الجواب المحتفل عن حديث الحال المرتحل[40].

6 ـ الدر المرقوم في حديث أصحابي كالنُّجوم[41].

7 ـ الدُّرر المنثورة في الدَّعوات

(35) «فهرس الفهارس» (819/2).
(36) منه نسخة بخزانة علال الفاسي برقم: (654). ينظر: «الفهرس المختصر لمخطوطات مؤسَّسة علال الفاسي» (81/2).
(37) منه نسخة بالخزانة الملكيَّة بالرِّباط ضمن مجموع (ص: 15 ب)، برقم: (10900)، ونسخة بخزانة المسجد الأعظم بوزان ضمن مجموع برقم: (297).
(38) منه نسخة بمؤسَّسة الملك عبد العزيز بالدَّار البيضاء برقم: (531/5).
(39) وعندي منه نسخة مصوَّرة جمعها ونقلها وعلَّق عليه الشَّيخ محمَّد بن جعفر الكتاني. وينظر: «سلوة الأنفاس» (150/1).
(40) منه نسخة بمؤسَّسة الملك عبد العزيز بالدَّار البيضاء (531/3)، وفي خزانة المسجد الأعظم بوزان (297) ضمن مجموع.
(41) منه نسخة بمؤسَّسة الملك عبد العزيز بالدَّار البيضاء برقم: (531/2).

المأثورة[42].

8 ـ رفع الالتباس فيما ورد في القياس للنَّاس[43].

9 ـ رفع اللَّبسْ عمَّا ورد في إحياء اللَّيالي الخمس[44].

10 ـ شرح الشَّمائل المحمَّديَّة[45].

11 ـ شرح الثّلث الأخير من مشارق الأنوار من صحاح الأخبار المصطفوية للصَّغاني، وقد شرحه بأمر من السُّلطان محمَّد بن عبد الله، ولم يتمه فأكلمه ابنه أبو محمَّد عبد الله[46].

12 ـ شرح إحياء الميت في فضائل آل البيت للسُّيوطي[47].

13 ـ فهرسة شيوخه[48].

14 ـ فتح البصير في التَّعريف بالرِّجال المخرَّج لهم في الجامع الكبير للسُّيوطي، ولم يتمه كما صرَّح بذلك صاحب «الدّر النَّفيس».

15 ـ موارد أهل السداد والوفا في تكميل مناهل الصَّفا في تخريج أحاديث الشفا للسُّيوطي[49].

16 ـ ما ورد في سبب منع نزول المطر ـ وهي رسالتنا هذه.

(42) منه نسخة بمؤسَّسة الملك عبد العزيز برقم: (531/7).

(43) منه نسخة بخزانة علال الفاسي ضمن مجموع برقم: (755) من (ص: 194 إلى ص: 207). ينظر «الفهرس المختصر» (151/2).

(44) كما في نسخة مؤسَّسة الملك عبد العزيز بالدَّار البيضاء برقم: (4/531)، ومنه نسخة أخرى بالخزانة الحسنية بالرِّباط برقم: (10990).

(45) منه نسخة بالخزانة العامَّة بالرباط، ونسخة بخزانة الشَّيخ الحجوجي برقم: (112) حسب الفهرس الخطي للخزانة.

(46) ينظر «الإشراف على بعض من بناس من مشاهير الأشراف» محمَّد الطَّالب بن الحاج السلمي المرداسي (143/1)، و«فهرس الفهارس» (824/2).

(47) ذكره في «فهرسته» (46).

(48) وقد طبع عن دار ابن حزم بتحقيق بدر العمراني.

(49) منه نسخة غير مكتملة بمؤسَّسة الملك عبد العزيز بالدَّار البيضاء برقم: (531/1).

17 ـ نبذة يسيرة في بيان درجة بعض الأحاديث: وهو تقييد في بيان درجة أربعة أحاديث: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر» وحديث: «لا يبدأ فيه بالحمد»، و«إن إسماعيل هو الذَّبيح» وحديث رؤية النَّبي ﷺ لربِّه[50].

إلى غير ذلك من المصنَّفات والتَّقاييد والأجوبة، الَّتي أرجو الله الكريم أن يقيِّض لها من يعتني بها ويخرجها.

وفاته:

توفِّي الحافظ أبو العلاء في شعبان عام أربعة وثمانين ومائة وألف، بمدينة فاس، عن أربع وستِّين سنة[51]. رحمه الله وأسكنه فسيح جنَّاته وغفر له..

❊ ❊ ❊

إثبات صحَّة نسبة الرِّسالة للمصنِّف:

يدلّ لصحَّة نسبة هذه الرِّسالة للحافظ أبي العلاء إدريس العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ أمور:

ـ نسبة كثير ممَّن ترجم للعراقي أجوبة وفتاوى وتقاييد مختلفة، جادت بها قريحته، تدلُّ على سعة علمه وقوَّته، كان يجيب بها على البديهة من حفظه[52]، ونلمس هذا من مقدِّمته لجمع من فتاويه، ومنها رسالتنا هذه إذ يقول في مقدِّمتها: «سُئِلْتُ عن بعض ما وردَ في منع نزول المطر فأجبتُ بما تيسَّرَ في الحين».

(50) منه نسختان بالمكتبة الوطنيَّة بالرِّباط: الأولى: (805) (D 1419) ضمن مجموع من الورقة (9/ب إلى 11/أ) (ق2 ج1/ص81)، والثَّانية برقم: (51) (26 جك) ميكروفلم (017) (م: 9/ص: 72)، ضمن مجموع من الورقة (110 إلى 112). ونسخة بخزانة المسجد الأعظم بمكناس ضمن مجموع برقم: (502) في ورقتين.

(51) ينظر «نشر المثاني» (195/4)، و«طبقات الحضيكي» (121/1)، و«فهرس الفهارس» (818/2).

(52) ينظر «نشر المثاني» (195/4)، و«فهرس الفهارس» (819/2).

ـ أنَّ رسالتنا محلّ الدِّراسة تقع ضمن مجموع هو بخطِّ أحد أحفاد المصنِّف، وقد ذكر اسم جدِّه المصنِّف في بعض حواشيه ضمن المجموع. ـ وسيأتي ذكر ذلك مفصَّلًا في مبحث وصف النُّسخة المعتمدة ـ، كما أنَّ من هذه الرَّسائل المكونة للمجموع ما ابتدأه العراقي أو ختمه بذكر اسمه ونسبه.

ـ وقد نسب هذه الرِّسالة للعراقي الدُّكتور بدر العمراني في مقدِّمة تحقيقه لرسالة «الجواب المحتفل عن حديث الحال المرتحل»[53].

ـ كما أنَّ منهج ونفس الحافظ العراقي في كتابه «موارد أهل السداد والوفا»، و«الجواب المحتفل»، و«رفع اللَّبس عمَّا ورد في إحياء اللَّيالي الخمس»، و«التَّنبيهات الحسنة على أحاديث التَّوسعة» هو نفسه في رسالتنا محل الدِّراسة، ويظهر ذلك لمن تتبَّعه.

تحقيق عنوان المخطوط:

لا يوجد ما يمكن الاستناد عليه للقطع بأنَّ أبا العلاء العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ سمَّى رسالته باسم معيَّن، ولكن الغالب أنَّ تسمية الرِّسالة من صنيع المفهرس أو النَّاسخ، الَّذي وضع لها العنوان التَّالي: «ما ورد في سبب منع نزول المطر» أخذا من مقدِّمة المصنِّف.

وصف النُّسخة المعتمدة في تحقيق الرِّسالة:

اعتمدت في تحقيق رسالة العراقي على نسخة وحيدة من محفوظات مكتبة الملك عبد العزيز بالدَّار البيضاء، ضمن

(53) صدرت الرِّسالة ضمن العددين الأوَّل والثَّاني لمجلَّة «التراث النَّبوي»، ـ المحرم ورجب (1439) ـ السَّنة الأولى (274).

مجموع تحت رقم: (531/6)، وعدد لوحاتها (6)، ومسطرتها: (18) سطرًا، ماعدا اللَّوحتين الأولى والأخيرة.

والنَّاسخ هو أحد أحفاد الشَّيخ أبي العلاء العراقي، ويدلُّ لذلك ما ورد في حواشي اللَّوحة (4) من مخطوطة «التَّنبيهات الحسنة على أحاديث التَّوسعة» للعراقي. وهي ومخطوطتنا محل الدِّراسة ضمن مجموع واحد بنفس الخط .. كتب النَّاسخ: «وكذا في شرح البخاريِّ ولفظُه: «الرَّجلُ إذا ثبتت عدالتُهُ لم يقبل فيه الجرحُ إلَّا إذا كان مفسَّرًا بأمرٍ قادحٍ، أفادَه في النُّكَت في باب من أعاد الحديث ثلاثًا في حديث: «كان النَّبيُّ ﷺ إذا تكلَّمَ بكلمةٍ أعادَها ثلاثًا». قال جَدُّنَا أبو العلاء وقد سبق [الحافظ] بهذا أبو عمر بن عبد البر في كتاب العلم».

فبناءً على هذه الحاشية فإنَّ ناسخ المجموع هو أحد أحفاد المصنّف العراقي - رحمة الله عليهم أجمعين ..

ونسختنا تامَّة، مصحَّحة، عليها حواشي التَّصحيح، واستدرك النَّاسخ ما وقع له من سهو، وبها بياضات يسيرة، وبها تعقيبة، وخطها مغربي، محلى بحمرة، وقد وضع النَّاسخ في بداية كلِّ جملة خطًّا أحمر فوق أوَّل كلمة.

■ منهجه في الرسالة:

بدأ المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ رسالته بذكر سبب كتابتها، وأنَّه كان جوابًا لسؤال ورده. وقد أجمل الشَّيخ الجواب، ثمَّ فصل؛ فذكر السَّبب الجامع لمنع نزول المطر وهو العصيان، ثمَّ ساق جمعًا من الأحاديث في ذلك، وأردفها بكلام لبعض أهل العلم في شرح بعضها، ثمَّ أورد أحاديث أخرى. وختم ذلك بنقل عن العلَّامة الثَّعلبي في تفسيره.

ولم يلتزم الشَّيخ العراقي الصحَّة فيما أورده من أحاديث، بل أورد الصِّحاح والحسان والضِّعاف، ولم ينبِّه على ذلك. وأورد روايات مختلفة لبعض الأحاديث لبيان معناها.

■ موارده:

اعتمد المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ مجموعة من المصادر، فمن كتب الحديث: «الصَّحيحان»، و«سنن التِّرمذي»، و«ابن ماجه»، و«البيهقي»، و«معجم الطَّبراني الكبير والأوسط»، ومن شروح الحديث: «فتح الباري» لابن حجر، و«إكمال المعلم» للقاضي عياض، ومن كتب التَّفسير: «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» للثَّعلبي.

ونقل عن بعضها بالواسطة، «كمستدرك الحاكم»، و«جامع بيان فضل العلم» لابن عبد البر، و«مصنف قاسم ابن أصبغ»، و«غريب الحديث» لأبي عبيد، و«شرح ابن بطَّال» للبخاري.

والحمد لله رب العالمين.

❋ ❋ ❋

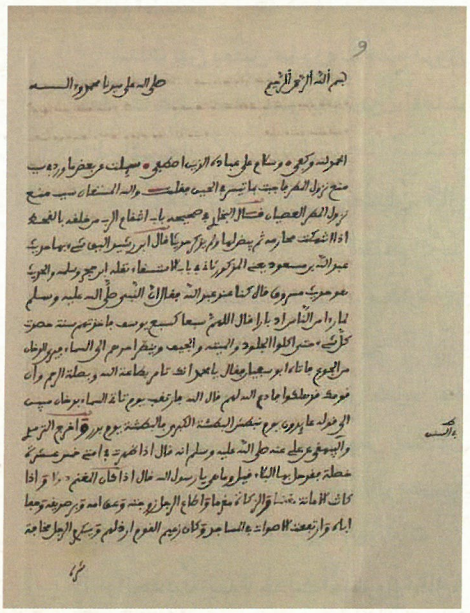

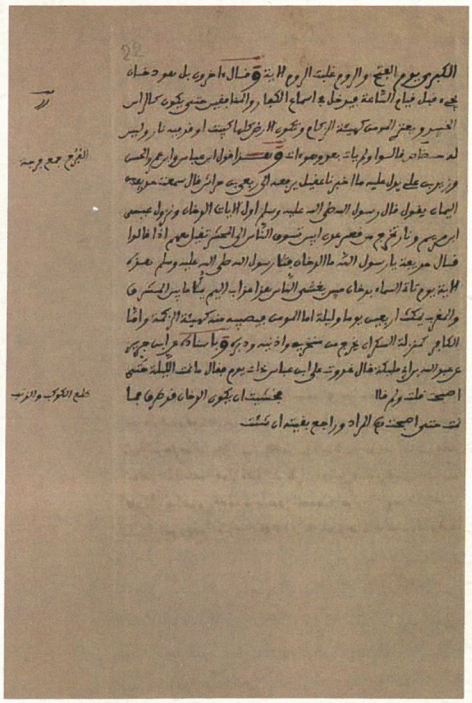

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآله.

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الَّذين اصطفى.

سُئِلْتُ عن بعض ما وردَ في منع نزول المطر فأجبتُ بما تيسَّر في الحين، فقلتُ والله المستعانُ:

سببُ منعِ نزولِ المطرِ العصيانُ، قال البخاريُّ في «صحيحه»: «بابُ انتقام الرَّبِّ من خلقه بالقَحْط إذا انتُهكت محارمُه»، ثمَّ بيَّضَ لها ولم يَذكُر حديثًا.

«قال ابن رُشَيِّد[54]: «أليقُ شيءٍ بها حديثُ عبد الله بن مسعود يعني المذكورُ ثاني في باب الاستسقاء»، نقلهُ ابن حجر وسلَّمهُ[55].

والحديثُ بعد حديث مسروق قال: كنَّا عند عبد الله فقال: إنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا رأى من النَّاس إدبارًا قال: «اللَّهُمَّ سَبْعًا[56] كَسَبْعِ يُوسُفَ»، فأخَذَتهُمْ سَنَةٌ [حَصَدَتْ][57] كلَّ شيءٍ حتَّى أكلوا الجلودَ والميتةَ والجِيَفَ، وينظرُ أحدهم إلى السَّماءِ فيرى الدُّخان من الجوع، فأتاهُ أبو سفيانَ فقال: يا محمَّد، إنَّك تأمرُ بطاعة الله وبصلة الرَّحم، وإنَّ قومكَ قد هلكوا فادعُ الله لهم. قال الله: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾، إلى قوله: ﴿عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [سُورَةُ الدُّخَانِ]، فالبطشة يوم بدر[58].

وأخرج التِّرمذيُّ البَيْهَقيُّ[59] عن علي عنه ﷺ أنَّه قال: «إذا ظَهَرَتْ في أمَّتي خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً فقد حَلَّ بها البلاءُ»، قيل وما هي يا رسول الله؟ قال: «إذا كانَ المَغْنَمُ دُوَلًا[60]، وإذا كانت الأمانةُ مَغْنَمًا، والزَّكاةُ مَغْرَمًا، وأطاعَ الرَّجلُ زوجتَهُ وعقَّ أمَّهُ، وبرَّ صَديقَهُ وجفا أباهُ، وارتفعت الأصواتُ في المساجد، وكانَ زعيمُ القوم أرذلَهُم، ويُكْرَمُ الرَّجلُ مخافةَ [ل/1] شرِّه، وشُرِبَت الخمرُ، ولُبِسَ الحريرُ، واتُّخِذَت القِيناتُ والمعازفُ، ولعنَ آخرُ هذه الأمَّة أوَّلها، فَلْيَرْتَقِبُوا عندَ ذلك ريحًا حمراءَ، أو خَسْفًا أو مَسْخًا»[61].

وفي رواية الترمذي[62] عن أبي هريرة بمعناهُ: «وخَسْفًا، ومَسْخًا، وقَذْفًا، وآيات تَتَابَعُ كتابع آكام[63] قد انقطعَ سِلْكُهُ فَتَتَابَعَ»[64].

وأخرج الطَّبراني عن ابن عبَّاس أنَّ رسول الله ﷺ قال: «خَمْسٌ بِخَمْسٍ: مَا نَقَضَ قَوْمٌ العَهْدَ إلَّا سَلَّطَ الله عَلَيْهِم عَدُوَّهُم، وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ الله إلَّا فَشَا فيهِمُ الفَقْرُ، وَلَا ظَهَرَ فيهِمُ الفَاحِشَةُ إلَّا فَشَا فيهِمُ المَوْتُ، وَلَا نَقَصُوا المِكْيَالَ إلَّا مُنِعُوا النَّبَاتَ وَأُخِذُوا بالسِّنِينَ، وَلَا مَنَعُوا الزَّكَاةَ إلَّا حُبِسَ عَنْهُمُ القَطْرُ»[65].

وعن عبد [الله][66] بن بُرَيْدَةَ عن أبيه عنه ﷺ أنَّه قال: «مَا نَقَضَ قَوْمٌ العَهْدَ قَطُّ إلَّا كَانَ القَتْلُ بَيْنَهُمْ، وَلَا ظَهَرَتْ الفَاحِشَةُ

(54) محمَّد بن عمر بن محمَّد بن عمر بن رشيد الفهري، الخطيب، المحدِّث، المتبحِّر في علوم الرِّواية والإسناد، وهو من المكثرين من الأخذ عن الأشياخ، وله «ملء العيبة»، و«السَّنن الأبين»، وغيرها. توفِّي بفاس سنة إحدى وعشرين وسبعمائة. ينظر في ترجمته «الدِّيباج المذهَّب» (297/2)، «أزهار الرِّياض» للمقَّري (347/2).

(55) ونصّ كلام الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «هكذا وقعت هذه التَّرجمة في رواية الحموي وحده خالية من حديث ومن أثر. قال ابن رشيد: كأنَّها كانت في رقعة مفردة فأهملها الباقون، وكأنَّه وضعها ليُدْخِلَ تحتها حديثًا، وأليق شيء بها حديث عبد الله بن مسعود - يعني: المذكور في ثاني باب من الاستسقاء -، وأخَّرَ ذلك ليقع له التَّغيير في بعض سنده كما جرت به عادته غالبًا، فعاقه عن ذلك عائق، والله أعلم» «فتح الباري» (358/3).

(56) كذا في الأصل، وفي البخاري ومسلم «اللَّهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ».

(57) كذا في الأصل، ولفظ الحديث: حَصَّتْ كل شيء. قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (347/3): «بفتح الحاء والصَّاد المهملتين، أي: استأصلت النَّبات حتَّى خلت الأرض منه». ويراجع «مشارق الأنوار» (421/1).

(58) أخرجه البخاري (1007)، ومسلم (2798).

(59) في هامش الأصل في السنن.

(60) بكسر الدَّال وفتح الواو، ويضم أوّله جمع دولة بالضَّم والفتح، وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم. ينظر «تحفة الأحوذي» (377/6).

(61) إسناده ضعيف، أخرجه الترمذي (2210)، والطَّبراني في «الأوسط» (469) من طريق الفرج ابن فضالة، عن يحيى بن سعيد، عن محمد ابن عمرو بن علي، عن علي بن أبي طالب. ولم أقف عليه عند البيهقي.

وقال التِّرمذي رَحِمَهُ اللَّهُ عقبه: «هذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث علي بن أبي طالب إلا من هذا الوجه، ولا نعلم أحدًا رواه عن يحيى بن سعيد الأنصاري غير الفرج بن فضالة، والفرج ابن فضالة قد تكلم فيه بعض أهل الحديث وضعَّفه من قبل حفظه، وقد رواه عنه وكيع، وغير واحد من الأئمَّة».

والرَّاوي عن علي بن أبي طالب هو محمَّد بن عمر ابن علي، وما في نسخ التِّرمذي من أنَّه محمَّد ابن عمرو بن علي خطأ، إذ لا يعرف في أبناء علي من اسمه عمرو، كما أشار لذلك ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (367/2)، وعليه ففي الحديث علة أخرى وهي الانقطاع من جهة محمَّد بن عمر ابن علي عن جدِّه علي بن أبي طالب، فإنَّ محمَّدًا لم ير علي بن أبي طالب.

قال العلائي في «جامع التحصيل» (ص267): «إن كانت الرواية الأولى محفوظة فهي مرسلة؛ فإنَّ محمد بن عمرو لم يدرك جده، وإن كانت الثانية فمحمد بن علي هو ابن الحنفية، وذلك مرسل أيضا؛ لأنَّ يحيى بن سعيد لم يدركه، والحديث ضعيف أيضا من جهة فرج بن فضالة، والله أعلم».

الحديث ضعَّف إسناده الشَّيخ الألباني في «الضَّعيفة» (1170).

(62) إسناده ضعيف، وقد أخرجه التِّرمذي (2211)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الترمذي مضعِّفًا له: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه». وفي سنده رُمَيْحٌ الجُذَامي وهو مجهول، كما قال الذَّهبي في «الكاشف». ينظر «الكاشف» (1589)، و«تقريب التَّهذيب» (1957). وضعَّفه الشَّيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (287)، و«الضَّعيفة» (1727).

(63) كذا في الأصل، وفي نسخة التِّرمذي: «كنظام بال».

(64) ومعنى قوله: «كنظام بال قد انقطعَ سِلْكُهُ فَتَتَابَعَ»: «كنظام» بكسر النُّون أي: عقد من نحو جوهر وخرز، «بال» أي خَلِق، «قَطَعَ سِلْكَهُ» بكسر السِّين أي انقطع خَيطه، «فَتَتابع» أي ما فيه من الخرز. ينظر «النِّهاية في غريب الحديث» (4193/9)، و«تحفة الأحوذي» (379/6).

(65) في «المعجم الكبير» (45/11) (ح: 10992)، قال الهيثمي: «فيه إسحاق بن عبد الله بن كيسان المروزي لينه الحاكم، وبقيَّة رجاله موثَّقون وفيهم كلام» «مجمع الزَّوائد» (65/3)، وقال المنذري: «وسنده قريب من الحسن، وله شواهد»، وحسَّنه الشَّيخ الألباني في «صحيح الجامع» (616/1).

(66) زيادة من «المستدرك»، وهو عبد الله بن بريدة ابن حصيب الأسلمي.

في قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ، وَلَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلَّا حَبَسَ اللهُ عَنْهُمُ الْقَطْرَ»[67].

وعن ابن عمرَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خِصَالٌ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ [الْمُؤْنَةِ][68] وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ يَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ [ويتخيروا][69] فِيمَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»[70].

(67) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (136/2) (ح: 2577)، والبيهقي في «السُّنن الكبرى» (6397)، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه»، ووافقه الذَّهبي. وينظر: «الصَّحيحة» للشَّيخ الألباني (219/1).

(68) بياض في الأصل، وقد أتممته من النُّسخة المطبوعة «للمعجم الأوسط».

(69) في الأصل: (وسخروا)، والتصويب من مصادر التخريج.

(70) حديث حسن: أخرجه ابن ماجه (4019)، وأبو نعيم في «الحلية» (333/8) وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (327) من طريق خالد ابن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر، وخالد بن يزيد ضعيف كما في تهذيب التهذيب (126/3).

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (11) من طريق نافع بن عبد الله، عن فروة بن قيس المكي، عن عطاء بن أبي رباح به.

وفي سنده نافع وفروة لا يعرفان، ينظر: «المغني» للذهبي (510/2)، و«تهذيب التهذيب» (406/10).

وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: 7]، وقد أعلمَ بما كان قبلَ هذه الأمَّة، وبما يكونُ فيها إلى قيام السَّاعة.

وثبتَ عن أبي سعيد عنه ﷺ [ل/2] «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ»[71] وفي رواية: «مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»[72].

وللحاكم عن ابن عباس: «حَتَّى [لو][73] أَنَّ أَحَدَهُمْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمُوهُ»[74].

ولأبي سعيد: قالوا يا رسولَ الله: اليهودَ والنَّصارى؟ قال: «فَمَنْ؟».

قال ابن حجر: «الَّذي يظهرُ أنَّ التَّخصيصَ إنَّما وقعَ بجُحْرِ الضَّبِّ، وأنَّ ذلكَ لشدَّة ضيقه ورداءته، ومع ذلك فإنَّهم لاقتفائهم آثارَهُمْ واتِّباعهم طريقَهُمْ لو دخلوا في سِلْكِ هذا الضَّيِّقِ الرَّديءِ لوافقوهُمْ»[75].

قال عياضٌ: «الشِّبرُ والذِّراعُ، والضِّيقُ، ودُخولُ الجُحْرِ تمثيلٌ للاقتداءِ بهم في كلِّ شيءٍ ممَّا نهى الشَّرعُ عنه وذمَّه»[76].

وقوله ﷺ: «فمن؟» «هو استفهامُ إنكاريٌّ ليس المرادُ غيرهُمْ»[77]، وقال في موضع: «فَمَنْ هُمْ غَيْرُ أُولَئِكَ؟»[78].

ورواه الطَّبراني في «الأوسط» (4671)، والحاكم في «المستدرك» (583/4)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه»، وتعقَّبه الشَّيخ الألباني فقال: «بل هو حسن الإسناد فإن ابن غيلان هذا قد ضعَّفه بعضهم، لكن وثَّقه الجمهور»، «الصَّحيحة» (216/1) (ح: 106).

(71) أخرجه مسلم بهذا اللَّفظ (2669).

(72) أخرجه البخاري (7320)، ومسلم (6781).

(73) زيادة من «المستدرك».

(74) «المستدرك» (502/4)، وقال: «صحيح».

(75) «فتح الباري» (98/8).

(76) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (163/8).

(77) «فتح الباري» لابن حجر (98/8).

«وقد أخرج الطَّبراني [من حديث][79]: المستورد بن شدَّاد رفعه: «لا تَتْرُكُ هذه الأُمَّةُ شَيْئًا من سَنَنِ الأَوَّلِينَ حتَّى تَأْتِيَهُ»[80].

قال ابن بطال: «أَعْلَمَ ﷺ أنَّ أمَّتَهُ سَتَتَّبِعُ المُحدثاتِ من الأمورِ، والبدعَ والأهواءَ كما وقعَ للأمم قبلهم، وقد أنذر في أحاديثَ كثيرةٍ بأنَّ الآخرَ شرٌّ، والسَّاعةُ لا تقومُ إلَّا على شرارِ النَّاس، وأمَّا الدِّينُ إنَّما يَبْقى قائمًا عندَ خاصَّة من النَّاس»[81].

قال ابن حجر: «وقد وقع مُعظم ما أنذر به ﷺ، وسيقع بقيةُ ذلك»[82].

قال: «واستدلَّ ابن عبد البرِّ في باب ذمِّ القول بالرَّأي إذا كان على غير أصل بما أخرجهُ عن عُرْوَةَ قال: لم يَزَلْ أمرُ بني إسرائيل مُستقيمًا حتَّى حَدَثَ فيهم المُوَلَّدُونَ أبناءُ سَبايا الأمم، فأحدَثوا فيهم القول بالرَّأي، فأضلُّوا بني إسرائيل[83].

(78) أخرج البخاري في «صحيحه» (7319)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ»، فقيل: يا رسول الله، كفارس والرُّوم؟ فقال: «وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ». وينظر: «الفتح» (212/17).

(79) زيادة من «الفتح».

(80) في «المعجم الأوسط» (313)، وقال: «لا يُرْوَى هذا الحديث عن المُسْتَوْرِدِ إلَّا بهذا الإسناد، تفرَّد به: ابن لهيعة». وصحَّحه الشَّيخ الألباني بشواهده في «صحيح الجامع» (7219).

(81) نقله المؤلِّف رحمه الله بواسطة «الفتح» (212/17)، وهو عند ابن بطَّال في «شرح البخاري» (366/10)، بتصرف يسير من ابن حجر.

(82) «فتح الباري» (212/17).

(83) «جامع بيان العلم وفضله» (2015).

والحديث أخرجه ابن ماجه (56) من طريق سويد بن سعيد، عن ابن أبي الرجال، عن الأوزاعي، عن عبدة بن لبابة، عن عبد الله ابن عمرو بن العاص مرفوعا.

وفي سنده: سويد بن سعيد، قال ابن حجر: صدوق في نفسه، إلا أنه لما عمي يتلقن ما ليس من حديثه، وأفحش ابن معين فيه القول.

وكان [أُبَيٌّ] يقولُ: «السُّنَنَ السُّنَنَ، فإنَّ السُّنَنَ قِوامُ الدِّينِ»[84]، وكان ابن شهاب يذم ما وقعَ النَّاسُ فيه من الرَّأي وتَرْكِهِمْ السنن، وقال: إنَّ اليهودَ والنَّصارى إنَّما سُلِبُوا من العلم الَّذي كان بأيديهم [ل/3] حينَ [اسْتَقَلُّوا][85] الرَّأي وأخذوا فيه[86].

وأخرج ابن أبي خَيْثَمَةَ عن أنس قيل يا رسول الله: متى يُتركُ الأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر؟ قال: «إذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ إِذَا ظَهَرَ الإِدْهَانُ فِي خِيَارِكُمْ، وَالفُحْشُ فِي شِرَارِكُمْ، وَالمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، وَالفِقْهُ فِي أَرْذَالِكُمْ»[87].

وفي مصنَّف قاسم بن أصبغَ بسندٍ صحيحٍ عن عمر: فسادُ النَّاس إذا جاء العلم من قِبَلِ الصَّغير اسْتَعْصَى عليه الكبير، وصلاح النَّاس إذا جاء العلمُ من قِبَلِ الكبير تبعَهُ عليه الصَّغيرُ[88]. وذكر أبو عبيد أنَّ الصَّغير في هذا صغيرُ القَدْرِ لا السِّنِّ اهـ[89].

وقد جاءَ في غير حديث «أنَّ هذه الأمَّةَ [يُصِيبُهَا][90] خسفٌ وقَذْفٌ ومسخٌ ورجمٌ، وذلك بشربهم الخمر ولبسهم الحرير، واتِّخاذهم القَينات، وأكلهم الرِّبا، وقطعهم الرَّحِمَ» اهـ[91]، إلى غير ذلك ممَّا نهى الشَّرعُ عنه وذمَّهُ فيما تقدَّم عن عياضٍ[92].

وقد اقتصرنا على ما تيسَّر لنا في الحين، والأحاديث في ذلك كثيرة في التَّرغيب في الوعد والوعيد، ولولا الإطالةُ لذكرتُ منها ما هو مُقْنِعٌ.

قلتُ: وكفى بهذا [وعيدًا][93] فيمن اتَّبع هوى نفسه، وغفلَ عن طاعة مولاه في سرِّه وجهره، وأعرض عمَّا يُجازى عليه من الخير في الدُّنيا والآخرة، وعند شدَّة السُّؤال في رمسه[94]، جعلنا الله من المتمسِّكين بالعُرْوَةِ الوثقى وأرقى العالمين درجةً وارْتَقَى، وهو سيِّدنا ومولانا محمد المصطفى المنتقى، الَّذي من استمسكَ به[95] لا يضلُّ ولا يشقى، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الَّذين هم أفضل العالمين في الدُّنيا والآخرة حقًّا[96].

(90) بياض في الأصل، وما بين معقوفتين يقتضيه السِّياق.

(91) أخرج الترمذي (2212)، عن عمران إبن حصين أنَّ رسول الله ﷺ قال: «في هَذِه الأمَّة خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ» فقال رجل من المسلمين يا رسول الله ومتى ذاك قال: «إِذَا ظَهَرَت القَيْنَاتُ وَالمَعَازِفُ وَشُرِبَت الخُمُورُ». قال أبو عيسى: «وقد روي هذا الحديث عن الأعمش عن عبد الرَّحمن ابن سابط عن النَّبيِّ ﷺ مرسلًا وهذا حديث غريب». وللحديث شواهد يصير بها حسنًا. ينظر: «صحيح سنن التِّرمذي» (479/2)، و«الصَّحيحة» (1604)، و(2203).

(92) ينظر «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (163/8).

(93) في الأصل: وعيد.

(94) أي في قبره، قال ابن فارس: «الرَّاء والميم والسِّين أصل واحد يدلُّ على تغطية وستر. فالرمس: التُّراب. والرِّياح الروامس: الَّتي تثير التراب فتدفن الآثار. ويقال رمست على فلان الخبر؛ إذا كتمته إيَّاه. ورمست الرَّجل وأرمسته: دفنته» «معجم مقاييس اللُّغة» (439/2).

(95) أي بسنته ﷺ.

(96) أي بعد الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام.

كما أنَّ عبدة بن لبابة لم يلحق عبد الله بن عمرو، كما قال المزي في «تحفة الأشراف» (583/4).
وللحديث طرق أخرى ضعيفة، وضعَّفه الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» (4336).

(84) أخرجه ابن نصر المروزي في «السنَّة» (99)، والبيهقي في «المدخل» (221) عن عروة، وعلقه ابن عبد البر في «الجامع» عن هشام بن عروة (2029).

(85) بياض في الأصل، وقد أكملته من المطبوع.

(86) أورده ابن عبد البر عن ابن وهب في «جامع بيان العلم» (2028)، وفي إسناده رجل مجهول عن ابن شهاب.

(87) في نسخة «الفتح»: رذالكم، وفي نسخة ابن ماجه: رذالتكم.
والحديث أخرجه الإمام أحمد (12943)، وابن ماجه (1015) وحسَّن إسنادَه الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (43/1).

(88) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (1055)، والخطيب في «الفقيه والمتفقِّه» (782).

(89) نقلًا عن «الفتح» لابن حجر (213/17)، بتصرف يسير. وينظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (369/3).

خاتمة:

ولنرجع إلى القصَّة الَّتي تقدَّمت أوَّل التَّقييد من دعائه ﷺ على قومه بسبع وانتقام الله تعالى منهم بالقَحْطِ، وأذكرها بطولها.

قال الثَّعالبيُّ[97] في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ [ل/4] تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [سُورَةُ الدُّخَانِ]: «﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ فانتظر يا محمَّد في النِّقْمَة منهم وقتا يَحُولُ بينهم وبين السَّماء دخانٌ من شدَّة الجوع[98]، ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [سُورَةُ الدُّخَانِ] اختلفوا في هذا الدُّخان ما هو؟ ومتى؟ فروى الأعمشُ ومسلم بن صُبَيْحٍ عن مسروق قال: كنَّا عند عبد الله بن مسعود جلوسًا، وهو مُضطجعٌ بيننا، فأتاهُ رجلٌ فقال: يا أبا عبد الرَّحمن، إنَّ قاصًّا عند أبواب كِنْدَةَ [يَقُصُّ و][99] يقولُ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [سُورَةُ الدُّخَانِ] إنَّه دخانٌ يأتي يوم القيامة، فيأخذُ بأنفاس الكفَّار والمنافقين وأسماعهم وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منهُ شِبْهُ الزُّكام. فقام عبد الله وجلس وهو غضبانٌ، فقال: يا أيُّها النَّاس اتَّقوا الله، من علم شيئًا فليقُلْ بما يعلم، ومن لا يَعلم فليقُل: الله أعلم، فإنَّ الله قال لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [سُورَةُ صٓ].

(97) أبو إسحاق أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثَّعْلَبيُّ النيسابوري المفسِّر المشهور، يلقَّب بالثعلبي والثَّالبي، وليس هو نسبه، كان كثير الشُّيوخ، توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة. ينظر لترجمته: «وفيات الأعيان» (79/1)، «طبقات الشَّافعيَّة» للسبكي (58/4).

(98) جملة: «يا محمد... الجوع»: غير موجود في المطبوع.

(99) بياض بالأصل، وقد أتممته من تفسير الثَّعالبي.

وسأحدِّثُكم عن ذلك: إنَّ قريشًا لمَّا أَبْطَأَتْ على الإسلام، واستعصَت على رسول الله ﷺ دعا عليهم، وقال: «اللَّهُمَّ سَبْعَ سِنِينَ كَسِنِينِ يُوسُفَ» فأصابهم من الجَهْد والجوع ما أكلوا العظام والميتة والجلود[100]، وجعلوا يَرْفعون أبصارهم إلى السَّماء فلا يرون إلَّا الدُّخان من ظُلمة أبصارهم من شدَّة الجوع. فجاءه أبو سفيان بن حرب، فقال: يا محمدُ إنَّك جئتَ تأمر بطاعة الله وصلة الرَّحم، وإنَّ قومك قد هلكوا، فادعُ لهم، فإنَّهم لك مطيعون.

فقال الله تعالى: فقالوا: ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سُورَةُ الدُّخَانِ]، فدعا فكُشف عنهم، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سُورَةُ الدُّخَانِ] إلى كفركم، ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سُورَةُ الدُّخَانِ] فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر.

فهذه خمس قد مضين: الدُّخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم[101].

[وقيل: اللزام يوم بدر، والبطشة [ل/5] الكبرى يوم الفتح، والروم ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾﴾ [سُورَةُ الرُّومِ] الآية[102]][103].

وقال آخرون: بل هو دُخَانٌ يجيءُ قبل قيام السَّاعة، فيدخل في أسماع الكفَّار والمنافقين، حتَّى يكونُ كالرَّأس الحنيذ[104] ويَعْتَري المؤمن كهيئة الزُّكام، وتكون الأرض كلُّها كبيتٍ أُوقِدَ فيه نار، وليس له خصاصٌ[105].

قالوا: ولم يأت بعدُ، وهو آتٍ، وهذا قول ابن عبَّاس وابن عمرَ والحسن وزيد ابن علي، يدلُّ عليه ما أخبرنا عقيلٌ يَرْفَعُهُ إلى رِبْعِيِّ بن حِراش[106] قال سمعت حذيفةَ ابن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ الآيَاتِ الدُّخَانُ، وَنُزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ أَبْيَنَ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى المَحْشَرِ، تَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا». قال حذيفة: يا رسول الله ما الدُّخَانُ؟ فتلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [سُورَةُ الدُّخَانِ]، «يَمْلَأُ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، يَمْكُثُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، أَمَّا المُؤْمِنُ فَيُصِيبُهُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكْمَةِ، وَأَمَّا الكَافِرُ كَمَنْزِلَةِ السَّكْرَانِ يَخْرُجُ مِنْ مَنْخَرَيْهِ وَأُذُنَيْهِ وَدُبُرِهِ»[107].

وبإسناده عن ابن جرير[108] «عن عبد الله بن أبي مُلَيْكَةَ قال: غَدَوْتُ على ابن عبَّاسٍ ذات يوم، فقال: ما نمتُ اللَّيلةَ حتَّى أصبحتُ. قلتُ: ولم؟ قال: [طلَعَ الكوكبُ ذو الذَّنَب][109] فخَشيتُ أن يكونَ الدُّخان[110] قد طَرَقَ، فما نِمْتُ حتَّى أصبحتُ»[111].

اهـ المراد، وراجع بقيَّته إن شئت[112].

❋ ❋ ❋

(100) في المطبوع: ما أكلوا الجيف والعظام والميتة والجلود.

(101) أخرجه البخاري (4774)، ومسلم (7066 و7067).

(102) ينظر «تفسير الطَّبري» (537/17 و24/21).

(103) ما بين معقوفتين غير موجود بالمطبوع.

(104) الحنيذ: المشوي، من حنذ الجدي، يحنذُه حَنْذًا إذا شواه، ومن التَّنزيل: ﴿جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ [سُورَةُ هُودٍ].

(105) في المطبوع: «كبيت أوقد فيه وليس فيه خصاص»، ينظر «تفسير الطَّبري» (17/21)، و«تفسير ابن كثير» (247/7)، و«فتح الباري» لابن حجر (582/10).

وفي هامش الأصل: (الفرج: جمع فرجة).

(106) اختصر الشَّيخ أبو العلاء إسناد الثَّعلبي.

(107) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (20/21)، وفي أوَّله: «الدجَّال» بدل «الدُّخان»، وبين أن رواد لم يسمع هذا الحديث من سفيان الثَّوري، وقد حكم عليه الحافظ ابن كثير بالوضع. ينظر: «تفسير ابن كثير» (248/7)، و«الفتح» لابن حجر (583/10).

(108) اختصر الشَّيخ العراقي إسناد الثَّعلبي.

(109) في الأصل بياض، وما بين المعقوفين كتبه الناسخ في الهامش إلا أنه فيه (والذنب).

(110) قال ابن حجر معلِّقًا عليه: «وهذا أخشى أن يكون تصحيفًا وإنَّما هو الدجَّال بالجيم الثَّقيلة واللَّام»، «فتح الباري» (583/10).

(111) أخرجه عبد الرزَّاق في «تفسيره» (182/3) رقم: (2805)، وابن جرير في «تفسيره» (18/21)، ونسبه ابن كثير في «تفسيره» (249/7) لابن أبي حاتم.

(112) «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» للثَّعلبي (350/8).

وهذا آخر ما يسَّر الله الكريم من خدمة هذه الرِّسالة، وأسأل الله الكريم يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وينفع به، ويرحم الحافظ أبا العلاء ويغفر له ويعلي درجته في عليِّين، ويجزي خيرا الأخوين أيوب بوعلامية وحسن علوي إسماعيلي على ما بذلاه من توجيه ومساعدة والحمد لله ربِّ العالمين. وكتبه راجي عفو ربِّه الغفور حاتم بن محمَّد فتح الله المغربي كان الله له بمنِّه وكرمه.